

ولهذا استحَب العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى إذا جاء المسلم لأداء الصلاة في المسجد أن يتصدَّق ، حتى يجمع بين الأجرين وبين الفضلين .
وعن زَرِّ بْنِ حُبَيْشٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه كَانَ عِنْدَهُ غُلَامٌ يَقْرَأُ فِي الْمَصْحَفِ ، وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ حَضْرَمَةٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ! أَيُّ دَرَجَاتِ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ . قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : الزَّكَاةُ ^(١) .

(فقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ أي : أعطيناهم ﴿ يُنْفِقُونَ ﴾ أي :
والذين يُنْفِقُونَ بعض ما لهم الذي رزقهم الله تعالى وأعطاهم في وجوه الخير
والبر ، في طاعته تعالى وسبيله ، ويدخل في ذلك إنفاق المندوب ، وهو صدقة
التطوع ، وإنفاق الواجب ، كالزكاة والنذر .

والإنفاق المحمود : الإنفاق في الجهاد في سبيل الله تعالى ، وفي سبيل
المشروعات الخيرية : كعمارة المساجد ، والمدارس والمستشفيات ، ونحوها مما
هو في سبيل الله ، وليتنبه إلى أن إدخال " من " التبعية لصيانة الناس عن
التبذير المنهي عنه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا ﴾ ^(٢) : أي : ولا تسرفوا
إسرافاً ، وما أحسن قول من قال ، وما أصدقه :

(١) قال المنذري في "الترغيب" (١١١٥) : رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به . وقال الهيثمي
في "مجمع الزوائد" (٦٨/٣) : "رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون" .
(٢) الإسراء : ٢٦ .

إذا ملكت كَفِّي منالاً ولم أنل فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي
 على الله إخلاف الذي قد بذلته فلا مُتلفي بذلي ولا مُسْعِدي بخلي
 أروني بخيلاً طال عمراً ببخله وهاتوا كريهاً مات من كثرة البذل^(١)

وقد ورد في نصوص الوحي المطهر نصوص كثيرة تدعو للإنفاق والبذل في سبيل الله تعالى ، سواء كانت هذه النفقات عامة ، أم أنها زكاة ، أم أنها على الأهل والأقارب ، وإليك بعض هذه النصوص :

أولاً : من القرآن الكريم :

- ١- قوله تعالى ﴿ يَتَائِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٢) .
- ٢- ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣) .
- ٣- ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾^(٤) .

(١) نور الإيمان ص ٤٥ ، بتصرف يسير .

(٢) البقرة : ٢٥٤ .

(٣) البقرة : ٢٦١ .

(٤) التوبة : ١٠٣ .

٤ - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ (١) .

٥ - ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢) .

٦ - ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣) .

٧ - ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ﴾ (٤) .

٨ - ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٥) .

٩ - ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦) .

(١) البقرة: ٢٦٧ .

(٢) البقرة: ١٩٥ .

(٣) البقرة: ٢٤٥ .

(٤) المعارج: ٢٤-٢٥ .

(٥) الحديد: ٧ .

(٦) التوبة: ٦٠ .

١٠ - ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَابْنِي

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (١).

١١ - ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قرضًا حسنًا فيضعفه له وله أجرٌ كريمٌ ﴾ (٢).

ثانياً : من السنة :

(أ) - في الزكاة المفروضة :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (خمسٌ من جاء بهنَّ مع إيمانٍ دخل الجنة : مَنْ حافظ على الصلوات الخمس ؛ على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وصام رمضان ، وحجَّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً ، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه) (٣).

وعن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (حصَّنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرُّع) (٤).

(١) البقرة : ٢١٥ .

(٢) الحديد : ١١ .

(٣) قال المنذري في "الترغيب" (١٠٩٥) : " رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد " . وكذا قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٤٧/١) .

(٤) حديثٌ حسن ، قاله محققو الترغيب (١١٠٢) . ط ابن كثير ، رواه أبو داود في " المراسيل " (١٠٥) ، والطبراني في " الأوسط " (١٩٦٣) و " الكبير " من حديث عبد الله ابن مسعود ، والبيهقي في " الشعب " (٣٥٥٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .

وعن عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه - من غاضرة قيس - قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ : مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ كُلِّ عَامٍ وَلَمْ يُعْطِ الْهَرَمَةَ ، وَلَا الدَّرَنَةَ ، وَلَا المَرِيضَةَ ، وَلَا الشَّرْطَ اللَّيْمَةَ ، وَلَكِنْ مِنْ وَسْطِ أَمْوَالِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ وَلَمْ يَأْمُرْ بِشَرِّهِ) (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : (أُمِرْنَا بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَمَنْ لَمْ يَزِكْ فَلَا صَلَاةَ لَهُ) (٢) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ، وموكله ، وشاهده ، وكاتبه ، والواشمه والمستوشمه ، ومانع الصدقة ، والمحلل والمحلل له) (٣) .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما منع قومُ الزكاةَ إلا ابتلاهم الله بالسنين) (٤) .

(١) حديثٌ حسن ، قاله محققو الترغيب (١١١١) ، رواه أبو داود (١٥٨٢) وقوله "رافدةً عليه" :

من الرشد ، وهو الإعانة ومعناه : أنه يعطي الزكاة ونفسه تعينه على أدائها بطيبها وعدم حديثها له بالمنع . "والشَّروط" : هي الرذيلة من المال كالمسئة والعجفاء ونحوهما . "والدَّرنة" : الجرباء .

(٢) قال المنذري في الترغيب (١١٢٤) : رواه الطبراني في الكبير موقوفاً هكذا بأسانيد أحدها صحيح .

وكذا قال : الهيثمي في المجمع (٦٢/٣) . ورواه الأصبهاني في "الترغيب والترهيب" (١٠١٨) .

(٣) رواه أحمد (٦٦٠ ، ٦٧١) ، والأصبهاني في الترغيب (١٣٨١) ، والنسائي (١٤٧/٨) ،

رقم (٥١٠٣) . وقال محققو المسند : حسن لغيره .

(٤) قال المنذري في الترغيب (١١٣٤) : رواه الطبراني في الأوسط ، ورواته ثقات ، والحاكم

(١٢٦/٢) ، والبيهقي في سننه (٣٤٦/٣) في حديث ؛ إلا أنها قالا : "ولا منع قومُ الزكاةَ إلا

حبس الله عنهم القطر" وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . أ . هـ .

(ب) في النفقة على الأهل والحيال :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدّقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً : الذي أنفقته على أهلك) ^(١) .

وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذوي الرحم ثنتان : صدقة وصلّة) ^(٢) .

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الصدقات ؛ أيها أفضل ؟ فقال : (على ذي الرحم الكاشح) ^(٣) .

وعن جرير بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه ، فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه فيبخل عليه إلا أخرج الله له من جهنم حية يقال لها : شجاعٌ ؛ يتلمّظ فيطوقه به) ^(٤) .

(١) رواه مسلم (٩٩٥) .

(٢) رواه النسائي (٢٥٨٢) ، والترمذي (٦٥٨) وحسنه ، وابن خزيمة (٢٣٨٥) ، وابن حبان (٣٣٣٣) ، والحاكم (٤٠٧/١) وقال : صحيح الإسناد .

(٣) رواه أحمد (٤٠٢/٣) ، والطبراني ، وقال في "الترغيب" (١٣١١) : وإسناد أحمد حسن .
[والكاشح] : المضمّر العداوة في باطنه .

(٤) قال المنذري في الترغيب (١٣١٦) : رواه الطبراني في "الأوسط" (٥٥٩٣) و "الكبير" بإسناد جيد . أ.هـ وكذا قال الهيثمي في المجمع (١٥٤/٨) ، والتلمّظ : تطعّم ما يبقى في الفم من آثار الطعام .

يئخل على قرابه ، وبعطى الفقراء والمساكين من غير أقاربه ، وهذه صورة واقعة في مجتمعاتنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فإذا جاءه الفقير من أي مكان كان أعطى بنفسٍ سخية ، وإن جاءه فقير من أقاربه اعتذر إليه ، وهذه مصيبة عظيمة لأنها تؤدي إلى تفكك المجتمعات والأسر ، وزرع البغضاء والضغينة في نفوس الناس ، فأفضل الصدقة هي الصدقة على الفقير القريب .

وروى البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : (وإنك لن تنفق نفقه تبتغي بها وجه الله ؛ إلا أجزت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك) ^(١) ، أي : ما تطعم به زوجتك في فمها تُؤجر عليه ؛ رغم أنه ربما يكون على سبيل الملاعبة والتلذذ ؛ لكن فضل الله واسع .

وعن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة) ^(٢) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اليد العليا أفضل من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ؛ أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، وأدناك فأدناك) ^(٣) .

(١) رواه البخاري (٥٦) ، ومسلم (١٦٢٨) .

(٢) رواه أحمد (١٣١/٤) رقم (١٧١٧٩) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٨٢ ، ١٩٥) ، والنسائي في " الكبرى " (٩١٨٥ ، ٩٢٠٤) . وقال المنذري : إسناده جيد .

(٣) قال المنذري في الترغيب (٢٩٢٠) : رواه الطبراني بإسناد حسن . وهو في الصحيحين وغيرهما بنحوه من حديث حكيم بن حزام . وحسن الهيثمي إسناده في المجمع كذلك (٣/١٢٠) .

وعن أبي مسعود البديري رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أنفق الرجل على أهله نفقةً وهو يحتسبها كانت له صدقةً) (١) .

وهذا الحديث يدلنا فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهمية النية ؛ أن ينوي المسلم وهو ينفق ويشترى لأهله الطعام واللباس والشراب ؛ أن ينوي بذلك وجه الله تبارك وتعالى ، وأن ينوي بها رضى الله ، وأن يحتسبها عند الله تبارك وتعالى ، فإنه إن احتسبها كتب الله له أجرها فضلاً منه وكرماً .

(ج) في النفقة العامة (النافلة) :

وهي التي تكون للفقراء والمساكين ، ولقضاء حوائج المسلمين ؛ وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهَذَا عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

ويروى من حديث فاطمة بنت قيس أنها قالت : سألت أو سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزكاة ، فقال : (إن في المال لحقاً سوى الزكاة) ثم تلا هذه الآية التي في البقرة : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ

(١) رواه البخاري (٥٥) ، ومسلم (١٠٠٢) ، والترمذي (١٩٦٥) .

(٢) آل عمران : ٩٢ .

وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّيْرِينَ فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾ .

فليست الزكاة هي التي تجب علينا فقط ، ولكن إذا نزلت بالمسلمين مصيبة في أي بلد من البلدان فاحتاجوا إلى المال ، فهو واجب حتى ولو كان الإنسان قد أدى زكاة ماله ، وقد قال الله جل وعلا : ﴿ وَمَا أُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُغْنِيهِمْ وَهُوَ كَثِيرٌ رِزْقًا ﴾ (٢) وهذا وعد من الله ﷻ ؛ أن من أنفق أخلف الله ﷻ في ماله ، بل وعد ﷻ في مواضع أخرى بالمضاعفة للمنفق إلى عشرة أضعاف ، بل إلى أضعاف كثيرة أخرى .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فيقول أحدهما : اللهم أعط مُنفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط مُمسِكاً تَلْفَاءً) (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى تَفْلِحُ أَمْ أَنْفِقُ ° عَلَيْكَ - وقال صلى الله عليه وسلم - : يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا بِيَدِهِ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ (٤) .

(١) رواه الترمذي (٦٥٤ ، ٦٥٥) في الزكاة ، وقال : هذا حديثٌ إسناده ليس بذلك .

والآية من سورة البقرة : ١٧٧ .

(٢) سبأ : ٣٩ .

(٣) رواه البخاري (١٤٤٢) ، ومسلم (١٠١٠) .

(٤) رواه البخاري (٤٦٨٤) ، ومسلم (٩٩٣) ، و" لا يغيضها " أي : لا ينقصها .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيكم مال وارثه أحبُّ إليه من ماله ؟) قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . فقال صلى الله عليه وسلم : (فإن ماله ما قدّم ، ومال وارثه ما أخر)^(١) .

وعنه رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلالٍ وعنده صُبرٌ من تمرٍ ، فقال : ما هذا يا بلال ؟ قال : أعدُّ ذلك لأضيافك . قال : (أما تحشى أن يكون لك دُخانٌ في نار جهنم ، أنفق يا بلالُ ؟ ولا تحش من ذي العرش إقلالاً)^(٢) .

وعنه رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لاحسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار)^(٣) .

ماهو القدر الذي ينبغي إنفاقه ؟ وفيه ينفق ؟

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في " أضواء البيان " : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ عبّر في هذه الآية الكريمة بـ " من " التبعية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله لا كله . ولم يبيّن هنا القدر الذي ينبغي إنفاقه ، والذي

(١) رواه البخاري (٦٤٤٢) ، والنسائي (٣٦١٢) .

(٢) رواه البزار (٣٦٥٣) ، وقال المنذري في الترغيب (١٣٤٩) : إسناده حسن وهو عند الطبراني في الكبير وفيه : (أما تحشى أن يفور له بخارٌ في نار جهنم) .

(٣) رواه البخاري (٧٣) ، ومسلم (٨١٥ ، ٨١٦) والمراد بالاحسد : الغبطة ؛ وهي أن تتمنى مثل ما للمغبوط ، وهذا لا بأس به ، وأما تمنّي زوال النعمة عن الغير فهذا حرامٌ ، وهو الاحسد المذموم شرعاً .

ينبغي إمساكه . ولكنه يَبِّن في مواضع آخر أن القدر الذي ينبغي إنفاقه : هو الزائد على الحاجة وسدَّ الخلة التي لا بُدَّ منها ، وذلك كقوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ ^(١) ، والمراد بالعفو : الزائد على قدر الحاجة التي لا بدَّ منها على أصحَّ التفسيرات ، وهو مذهب الجمهور

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ ^(٢) . فنهاه عن البخل بقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ ، ونهاه عن الإسراف بقوله : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ فيتعيَّن الوسط بين الأمرين . كما بيَّنه بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ^(٣) فيجب على المنفق أن يفرِّق بين الجود والتبذير ، وبين البخل والاقتصاد . فالجود : غير التبذير ، والاقتصاد : غير البخل . فالمنع في محل الإعطاء مذموم . وقد نهى عنه نبيه ﷺ بقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ والإعطاء في محل المنع مذموم أيضاً ، وقد نهى عنه نبيه ﷺ بقوله : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ .

وقد بيَّن الله تعالى في مواضع آخر : أن الإنفاق المحمود لا يكون كذلك ، إلا إذا كان مصروفه الذي صرف فيه مما يرضي الله . كقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ

(١) البقرة : ٢١٩ .

(٢) الإسراء : ٢٩ .

(٣) الفرقان : ٦٧ .

مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١﴾ . وصرح بأن الإنفاق فيما لا يرضي الله
حسرة على صاحبه في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى
جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٢)

فإن قيل : هذا الذي قررتم يقتضي أن الإنفاق المحمود هو إنفاق ما زاد على
الحاجة الضرورية ، مع أن الله تعالى أثنى على قوم بالإنفاق وهم في حاجة إلى ما
أنفقوا ، وذلك في قوله : ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

فالظاهر في الجواب - والله تعالى أعلم - : هو ما ذكره بعض العلماء من أن
لكل مقام مقالاً ، ففي بعض الأحوال يكون الإيثار ممنوعاً . وذلك كما إذا
كانت على المنفق نفقات واجبه . كنفقة الزوجات ونحوها فتبرع بالإنفاق في
غير واجب وترك الفرض لقوله ﷺ : (وابدأ بمن تعول) ، وكأن يكون لا
صبر عنده عن سؤال الناس ، فينفق ماله ويرجع إلى الناس يسألهم ما لهم ، فلا

(١) البقرة : ٢١٥ .

(٢) الأنفال : ٣٦ .

(٣) الحشر : ٩ .

يجوز له ذلك ، والإيثار فيما إذا كان لم يضع نفقه واجبة ، وكان واثقاً من نفسه بالصبر والتعفف وعدم السؤال) . أ . هـ (١) .



(١) انظر: (أضواء البيان) (١/٤٥-٤٧) .



﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾



هذه هي ختام صفات المتقين الواردة في الآية السابقة لهذه الآية ، وهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقِفُونَ ﴾ ، ثم قال بعدها سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ . وتحدث في هذه الصفحات عن بداية هذه الآية وهي قوله جل وعلا : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ .

هذه الآية العظيمة تتحدث عن الإيمان ، وقد افتتحت صفات المتقين أيضاً بالإيمان ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ فصفت المتقين مبتدأة بالإيمان ومختمة بالإيمان ، وكذلك سورة البقرة افتتحها الله تبارك وتعالى بالإيمان ، واختتمها بالإيمان في قوله : ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَعْرِفُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَدْ الْوَأَسْمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾^(١) وهذا فيه إشارة إلى أهمية الإيمان ، وإلى عظيم مكانة الإيمان ، ووالله لو عرف الإنسان قيمة أو مكانة هذا الإيمان ، لكان أول دعاء يدعو به الله ﷻ في صلواته وفي

(١) البقرة : ٢٨٥ .

صيامه وفي حجه ، وفي كل مكان معظم ، وفي كل ساعة معظمة ؛ لكان أول ما يطلب من الله ﷻ ؛ قبل أن يطلب منه العفو والعافية يطلب من الله ﷻ الإيمان ؛ فالإيمان هو أعلى شيء ، وأثمن شيء .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (قال ابن عباس ؓ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ أي : يُصدّقونك بما جئت به من الله ، وما جاء به من قبلك من المرسلين ، لا يفرّقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربهم .
وقد اختلف المفسّرون في الموصوفين هاهنا : هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾
﴿ وَمَنْ هُمْ ؟ على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير .

الأول : أن الموصوفين أولاً هم الموصوفون ثانياً ، وهم كل مؤمن ، ومؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم ، قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة .

والثاني : هما واحد ، وهم مؤمنو أهل الكتاب ، وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات ، كما قال تعالى : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾

فعطف الصفات بعضها على بعض ، والموصوف واحد .

والثالث : أن الموصوفين أولاً مؤمنو العرب ، والموصوفون ثانياً بقوله :
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ الآية مؤمنو أهل الكتاب ،
نقله السُّدِّي في تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة ،
واختاره ابن جرير ، ويُستشهد لما قاله بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ (١) . وبقوله تعالى :
﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا بُدِئَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٢) .

وثبت في الصحيحين ، من حديث الشعبي عن أبي بُرْدَةَ عن أبي موسى : أن
رسول الله ﷺ قال : (ثلاثة يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ : رجل من أهل الكتاب آمن
بنيته ، وآمن ويرجل مملوك أدى حَقَّ الله وحقَّ مواليه ، ورجلٌ أدب جاريته
فأحسنَ تأديبها ، ثمَّ أعتقها وتزوَّجها) (٣) .

وأما ابن جرير فما استشهد على صحَّة ما قال إلا بمناسبة ، وهي أن الله تعالى
وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين ، فكما أنه صنَّف الكافرين إلى
صنفيين : منافقٍ وكافرٍ ، فكذلك المؤمنون صنَّفهم إلى عربيٍّ وكتابيٍّ .

(١) آل عمران : ١٩٩ .

(٢) القصص : ٥٢-٥٤ .

(٣) رواه البخاري (٩٧) ، ومسلم (١٥٤) .

قلت : والظاهر قول مجاهد - فيما رواه الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد -
ورواه غير واحد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال : أربع آيات من أول
سورة البقرة في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في
المنافقين ، فهذه الآيات الأربع عامّة في كلِّ مؤمن اتّصف بها من عربيٍّ وعجميٍّ
وكتابيٍّ من إنسي وجنّي ، وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى
، بل كلُّ واحدة مستلزمة للأخرى وشرطٌ معها ، فلا يصحُّ الإيمان بالغيب
وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ وما جاء به من قبله
من الرسل والإيقان بالآخرة ، كما أن هذا لا يصحُّ إلا بذلك ، وقد أمر الله تعالى
المؤمنين بذلك ، كما قال تعالى : ﴿ يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّٰهِ
وَمَلَائِكَتِهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا ۙ ﴾ ^(١) . وقال تعالى :
﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا
ءَامِنًا بِالَّذِي أَنزَلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ لَّهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٢) .
وقال تعالى : ﴿ يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ ^(٣) .

(١) النساء : ١٣٦ .

(٢) العنكبوت : ٤٦ .

(٣) النساء : ٤٧ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ ﴾^(١) . وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك فقال تعالى :
﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ
وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ﴾^(٢) الآية . وقال : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُم ۗ ﴾^(٣) . وغير ذلك من الآيات الدالة على أمر جميع
المؤمنين بالإيمان بالله ورسله وكتبه . لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية ، وذلك
أنهم مؤمنون بما بأيديهم مفصلاً ، فإذا دخلوا في الإسلام ، وآمنوا به مفصلاً كان لهم
على ذلك الأجر مرتين ، وأما غيرهم فإنما يحصل له الإيمان بما تقدم مجملًا .

كما جاء في الصحيح : (إذا حَدَّثَكُمْ أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا
تكذبوهم ، ولكن قولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم)^(٤) . ولكن قد
يكون إيمان كثير من العرب بالإسلام الذي بُعث به محمد ﷺ أتم وأكمل وأعم
وأشمل من إيمان مَنْ دخل منهم في الإسلام ، فهم وإن حصل لهم أجران من

(١) المائدة : ٦٨ .

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) النساء : ١٥٢ .

(٤) رواه البخاري (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة ؓ ، والإمام أحمد في مسنده (١٧٢٢٥) من

حديث أبي نملة الأنصاري ؓ ، وقال محققو المسند : إسناده حسن .

تلك الحيشية ، فغيرهم يحصل له من التصديق ما يُنيف ثوابه على الأجرين
الذين حصلا لهم ، والله أعلم (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ؛ الذي أنزل على النبي محمد
ﷺ هو القرآن الكريم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ (١) . وقال أيضاً : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا بُنِيَ عَلَيْهِمْ قَالُوا
ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا
وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٤) .

- وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا بُنِيَ عَلَيْهِمْ ﴾ - يعني القرآن .

وقدم الله تعالى في هذه الآية الإيمان بنبيه محمد ﷺ ، وكتابه على الإيمان

بالأنبياء السابقين وكتبهم لأموالهم منها :

١ - أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

(١) " تفسير ابن كثير " (١/١٨٧ - ١٩٨) ط . ابن حزم .

(٢) النساء : ١٠٥ .

(٣) النساء : ١١٣ .

(٤) القصص : ٥٢ - ٥٤ .

٢- ولأنَّ كتاب الله القرآن ؛ ناسخٌ لجميع الكتب السماوية ؛ لأنه آخرها
ولأنه للعالمين جميعاً ؛ والكتب السابقة أنزلت على أقوامهم فقط .

٣- لأنَّ الكتب السابقة دخل فيها التحريف والنقص والتضييع ، وهذه
حقيقة أثبتها علماء أهل الكتاب أنفسهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَفَنظَمُونَ أَنْ
يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ تُعْرَفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا
عَقَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قَدْ جَاءَكُمْ
مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا
جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٣) .

(١) البقرة : ٧٥ .

(٢) المائدة : ١٥ .

(٣) المائدة : ٤٨ .

من الكتب السابقة قبل القرآن :

والذي أنزل على رسل الله وأنبيائه السابقين - من الكتب السالفة - كثيرٌ ،
ذكر الله منها في القرآن الكريم :

❖ صحف إبراهيم ، وصحف موسى عليهما السلام ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ
هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ (١) .

❖ توراة موسى ﷺ ، قال سبحانه : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا
حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

❖ زبور داود ﷺ ، قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا
دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (٣) .

❖ إنجيل عيسى ﷺ ، قال ﷻ : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا
بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ﴾ (٤) .

❖ ولقد ذكر الله لنا بعضاً مما في التوراة والإنجيل ؛ فقال ﷻ : ﴿ وَكُنْتُمْ
عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ
بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (٥) .

(١) الأعلى : ١٨ - ١٩ .

(٢) المائدة : ٤٣ .

(٣) الإسراء : ٥٥ .

(٤) الحديد : ٢٧ .

(٥) المائدة : ٤٥ .

❖ وقوله سبحانه أيضاً: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرْعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴿ (١)

❖ وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَا نَزَرُ

وَزِرَةً وَزَرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعَاهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴿ (٢)

والكتب السابقة كلها وكل الله حفظها إلى من أنزلت إليهم ؛ ولهذا وقع فيها

التحريف والنقص و الزيادة ؛ وأما كتاب الله القرآن ، فهو محفوظ بحفظ الله له ،

لا يدخله نقص ولا زيادة ، ولا تحريف ولا تبديل .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿ (٣)

وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ

الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ (٤)

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) النجم : ٣٦ - ٤١ .

(٣) الحجر : ٩ .

(٤) فصلت : ٤١ - ٤٢ .

وقال ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥٧﴾ .

والمطلوب منا كمسلمين ومؤمنين أن نؤمن بكل كتاب أنزله الله ﷻ إجمالاً ، وأن نؤمن بكل كتاب ذكره الله باسمه تفصيلاً ، فكما نؤمن بالقرآن نؤمن بنزول التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف إبراهيم ، وصحف موسى ، وهذه هي الكتب الخمسة التي ذكرها الله لنا في كتابه مما أنزله على رسله وأنبيائه .

ولقد أمرنا الله تبارك وتعالى أن نؤمن بما أنزل إلينا وما أنزل من قبلنا ، فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلِ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَالًّا بَعِيدًا ﴿١٥٧﴾ .

فهذه الآية تبين لنا عظيم وأهمية الإيمان بالكتب ، فلا يكتمل إيمان مسلم حتى يؤمن بالتوراة وأنها كتاب من كتب الله ، فلو قال مسلم : التوراة ليست من كتب الله ، ولم ينزلها الله ، فقد كفر والعياذ بالله ﷻ ، وكذلك الإنجيل ، وكذلك الزبور .

(١) المائدة : ١٥ - ١٦ .

(٢) النساء : ١٣٦ .

ولكن يؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور الذي أنزله الله ﷻ ، وليس الموجود الآن بين أيدي الناس ، فالموجود كثير منه مختلط ، مختلف^١ ، و مكذوب على الله تبارك وتعالى .

وقال ﷻ أيضاً : ﴿ وَلَا تُحَدِّثُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِينَ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ لَّهُ مُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

وهذا من أعظم الأساليب في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، إذا أردت أن تدعو إلى الله ﷻ يهودياً أو نصرانياً ، فعليك أن تبين له أن الأنبياء كلهم جاؤوا بكلمة واحدة ، وهي كلمة التوحيد : لا إله إلا الله ، وأنه يجب على المؤمن والمسلم أن يؤمن بكتب الله ﷻ كلها ، وتبين له أنك كمسلم آمنت بالتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، و صحف إبراهيم ، و صحف موسى ، كما أنك مؤمن بالقرآن .

وعن أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وكتبه ورسله ، فإن كان حقاً لم تكذبوهم ، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم) (٢) .

(١) العنكبوت : ٤٦ .

(٢) رواه أحمد في المسند (١٧٢٢٥) وقال محققو المسند : إسناده حسن .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين)
وذكر منهم : (رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي) ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا بُعِثَ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٥﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبَدَرُوا وَبِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمَا زَوْقُهُمْ يُفْثُونَ ﴿٥٦﴾ . ^(٢)



(١) رواه البخاري (٩٧) ، ومسلم (١٥٤) .

(٢) القصص : ٥٢-٥٤ .